المجلة العربية، جامعة داكا
المجلد التاسع عشر، يونيو ٢٠١٨ م

الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم بين الخطابي والرافعي: دراسة موازنة

الدكتور محمد غياث الدين تعلقدار*

Abstract

The Holy Quran was descent in a clear Arabic language that challenged the Arab nation to whom the eloquence and fluency was instinctive, yet they failed imitate anything like Holy Quran. One of the important miracles of the Quran is it's rhetorical miracle, because it was revealed in a unique systems of speech and composition, and the kinds of analyzing the word and the implications of the precise meanings and purposes are found in a sublime way. Muslim scholars have been busy since ancient times in the research and study of this kinds of miracles, the most prominent of them Khattabi from ancient authors and Rafiee are from the modern scholars.

Imam Khattabi is considered the first Muslim scholar who researched on rhetorical miracle in a organized and scientifically, who has shown all kinds of miracles of Quran and mentioned innovative kinds of the miracle which was not mentioned before, named " Psychological miracles ". Mustafa Sadeq Al-Rafiee is considered one of the pioneers of the modern Renaissance, who wrote about the miracle of the Qur'an and the prophetic rhetoric. He presented that the Quranic miracle are consistent method, systems and composition.

The research deals with the points of the rhetorical miracles of the Holy Qur'an in the research of khattabi and Rafiee and then comparative study between them to highlight the similarities and differences between them.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، جامعة شيتاغونغ

مفهوم الإعجاز البلاغي ومظاهره في القرآن الكريم

أولاً: الإعجاز لغةً

الإعجاز بمعنى الفوت والسبق، يقال : أعجزني فلان أي فاتني، والتعجيز هو التثبيط، ومنه قول االله تعالى :﴿والَّذِينسعوا فِي آياتِنَا معاجِزِين﴾[١] ...بمعنى ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون، وأنه لا جنة ولا نار[٢]. أما لسان العرب فقد جاء به أن العَجْزُ: نقيض الحَزْم، يقال : عَجَز عن الأَمر يَعْجِزُ وعَجِزَ عَجْزاً فيهما ، ورجل عَجِزٌ وعَجُزٌ: عاجِزٌ ، ويقال: أَعْجَزْتُ فلاناً إذا أَلفَيْتَه عاجِزاً[٣].

ولقد عرف الرافعي الإعجاز تعريفا علمياً جميلا، فقال: الإعجازشيئان:الأول: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسانواتصال عنايته.والثاني: استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه[٤].

ثانياً: الإعجاز اصطلاحاً:

قد تعددت آراء العلماء في التعريف الاصطلاحي للإعجاز نذكر منها : " أن المراد من قولنا: إعجاز القرآن كونه أمراً خارقاً للعادة، لم يستطع أحد معارضته برغم تصدي الناس له"[٥].وهناك من أثبت الإعجاز بشيئين حيث يقول : " وإنما الإعجاز شيئان : وهو ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال غايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت[٦] "

مفهوم الإعجاز البلاغي

إن من أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم الإعجاز البياني، ونعني به: ذلك الترتيب البديع لكلمات القرآن الكريم في جملها من جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة. فالإعجاز البلاغي هو الدقة في اختيار كلمات القرآن

الكريم وترتيبها بصور بديعية حتى تظهر الفصاحة والبلاغة والبيان بصورة يفهمها القارئ ويسهب في تدبرها.

فالإعجاز البلاغي للقرآن الكريم إعجازه من حيث ألفاظه وتراكيبه وبلاغته، فهو يجمع المعاني العظيمة الكثيرة بأجمل لفظ وأخصر عبارة، وقد تحدى الله العرب البلغاء الفصحاء مجتمعين مع الجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال الله تعالى :فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ [٧]. وقال تعالى :قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً [٨]. بل تحداهما بسورة واحدة، قال الله تعالى :وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[٩].

مظاهر الإعجاز البلاغي

يتجلى هذا الجانب من الإعجاز بمظاهر عدة نوجزها فيما يلي:

إن من مظاهر الإعجاز البلاغي هو أن القرآن يجري على نسق خاص في أسلوبه، لا يستطيع أحد أن يجاريه فيه. وهذه الخصائص هي:

أ- نظمه البديع: فالقرآن يجري على نسق بديع، خارج عن المعروف والمألوف من نظام كلام العرب، فهو لا تنطبق عليه قوافي الشعر، كما أنه ليس على سنن أسجاع النثر.

ب- المحافظة على جمال اللفظ وروعة التعبير: إن التعبير القرآني يختار أجمل الألفاظ لأبهى تعبير، ويظل جاريا على مستوى رفيع من هذا الجمال اللفظي، ورقة الصياغة، وروعة التعبير، مهما تنوعت أبحاثه، واختلفت موضوعاته، وهذا مما يخرج عن طوق البشر.

ج- صياغته الموافقة لحال المخاطبين:إن ألفاظ القرآن وعباراته مصوغة بشكل غريب، وعلى هيئة عجيبة، بحيث تصلح أن تكون خطابا لمختلف المستويات من الناس، وبحيث

يأخذ كل قارئ منها ما يقدر على فهمه واستيعابه، ويراها مقدرة على مقياس عقله ووفق حاجته.

د- التجديد في الأسلوب: الخاصة الرابعة، هي تصريف بعض المعاني وتكرارها بقوالب مختلفة من التعبير والأسلوب البياني، بشكل يضفي عليها الجدة، ويلبسها ثوبا من التجسيم والتخييل غير الذي كانت تلبسه، بحيث تظهر وكأنها معنى جديد.

الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم عند الخطابي

أولا: التعريف بالإمام الخطابي

اسمه:وهو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ألبستي المعروف بالخطابي[١٠]. ومنهم من سماه: احمد واقتصر عليه، ومنهم من ذكر كلاالاسمين فتارة يقدم الأول وتارة يقدم الثاني[١١]، ورجح الإمام الذهبي: أنه حمد، كماقال الجُّم الغفير[١٢] ، وبه قال السيوطي في بغية الوعاة، واتفقت كلمة المؤرخين كذلك على أن لقب الإمام ونسبته التي يعرفبها هي الخطابي[١٣].

نسبته :اتفقت كلمة المؤرخين على أن لقب الإمام ونسبته التي يعرف بهاهي الخطابي[١٤]. ولكن اختلفوا في تفسير هذه النسبة؛ إذ أن هذه النسبة قد تطلقللانتساب بسيدنا عمر بن الخطاب وأخيه زيد بن الخطاب، وهي محل خلاف فلايمكن الجزم بها، لأنه لا يوجد دليل يؤكدها [١٥].

مولده:وقد ولد الإمام الجليل الخطابي في سنة ٣١٩ه، في مدينة بست من أعمال مدينة كابل منبلاد الأفغان، وقيل إنه ولد في سنة ٣١٧ه وهو ضعيف،والراجح الأول وذلك لكون أكثر من ترجم له قد ذهب إلى ذلك ومنهم ياقوت الحموي،وعبد القادر البغدادي، وذكر ياقوت أنه ولد في شهر رجب من هذه السنةالمذكورة[١٦].

وفاته : أما وفاته فقد توفي الإمام الخطابي بعد حياة حافلة بالعلم والأدب، والترحال في الطلب في بستفي شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨ه، وقيل إنه توفي في رباط على شاطئ هند يوم السبت السادس عشر من شهر ربيعالآخر[١٧].

ثانيا: الإعجاز البلاغي عند الخطابي

إن الإمام الخطابي تناول البحث عن الإعجاز بحثا علميامنظما وقد تكلم في إعجاز القرآن بتأليف رسالته "بيان إعجاز القرآن"، وعرض فيه وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

*بيان مجال الإعجاز في القرآن الكريم : يقرر الخطابي أن الإعجاز القرآني يرجع إلى بلاغته، وأخذ في وصفها مقررا أن أساليب الكلام الجيد منها البليغ الرصين، ومنها الفصيح السهل، ومنها الجائز الطلق، وبلاغة القرآن تجمع بين هذه الأساليب جمعا لا يتاح للبشر مثله،

* **النظم القرآني**: والخطابي بهذا يشير إلى النظم القرآني باعتباره أصلا من أصول الاعجاز. والجاحظ قد سبق إلى القول بأن اعجاز القرآن في نظمه ، فان الخطابي قد وضع أيدينا على معنى النظم بتحديده وتعريفه إذ يقول: أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لحام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان [١٨].

* **التأثير الوجداني للقرآن** :وللخطابي رأي آخر استوحاه من التأثير الوجداني للقرآن إذ يقول: (قلت في اعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فانك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما أو منثورا إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص من القرآن إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور

حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق، وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب[١٩].

وقد اعتبره الخطابي الوجه الأهم للإعجاز، ولذلك استغرق حديثه عنه معظم رسالته، والكلام البليغ المحمود عنده ثلاثة أنواع وهي:

١- البليغ الرصين الجزل: وهو أعلى طبقات الكلام وأرفعه، وفيه يكون في التعبير والألفاظ من القوه والمتانة والفخامة والجزالة ما يناسب ذلك .

٢- الفصيح القريب السهل: وهو أوسط طبقات الكلام وأقصره ، وهذا النوع يفيض أسلوبه وكلماته بالعذوبة والرقة والحيوية والسلاسة .

٣- الجائز الطلق الرسل: وهو أدنى طبقات الكلام وأقربه ، وهذا النوع وسط بين النوعين .وبلاغة القرآن قد انتظمت هذه الأنواع الثلاثة[٢٠] .

سبب العجز عن الإتيان بمثل القرآن: ويرجع الخطابي عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثل القرآن إلى ثلاثة أسباب وهي:

١- عدم إحاطتهم بجميع أسماء وأفعال وحروف اللغة العربية وتراكيبها.

٢- عدم إدراك أفهامهم لكل المعاني المحمولة على تلك الألفاظ والتراكيب.

٣- عدم اكتمال معرفتهم بجميع وجوه النظم، الذي يضع اللفظة موضعها اللائق، ويربط الألفاظ ببعضها بالرباط الأنسب والأقوى والأبلغ[٢١].

ويربط الخطابي بين عناصر الكلام الثلاثة التي لا يحيط بها الناس، وبين بلاغة القرآن المعجزة بقوله: " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط له ناظم ... واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أحسن المعاني"[٢٢].

ويبين عمود البلاغة الذي لا يتوفر في شيء أبداً توفره في بلاغة القرآن بقوله: "ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ

التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، وذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس إنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنعت والصفة، وكقولك اقعد واجلس، وبلى ونعم، وذلك وذاك، ومن وعن، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصفات"[٢٣].

مع هذا أنه رد على وجه الإعجاز البلاغي أي: الذين يرجعون البلاغة إلى الذوق وحده لأن الناس تختلف أذواقهم، إذاً لا بد من قواعد وضوابط وأسس يتحكم إليها الناس[٢٤].

الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم عند مصطفى صادق الرافعي

أولا: التعريف بمصطفى صادق الرافعي

اسمه ونسبه: هو مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، **وأصله من مدينة طرابلس في لبنان ومازالت أسرة الرافعى موجودة في طرابلس حتى الآن،** كما يقال إن نسب أسرة الرافعى يمتد إلى عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب. وقد جاء بعد الشيخ محمد طاهر الرافعى عدد كبير من إخوته وأبناء عمه، وبلغ عدد أفراد أسرة الرافعى في مصر حين وفاة مصطفى صادق الرافعى سنة ١٩٣٧ ما يزيد على ستمائة فرد[٢٥].

ولادته:ولد مصطفى صادق الرافعي أول يناير عام ١٨٨٠مالموافق ١٢٩٨هـ في بيت جده لأمه في قرية "بهتيم" بمحافظة القليوبية في جمهورية مصر العربية [٢٦].

نشأته وحياته :بدأ "الرافعي" حياته الأدبية شاعرًا، وكان لا يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، وأخذ ينشر شعره ومقالاته في المجلات التي كانت تصدر آنذاك، فدخل "الرافعي" إلى مجال الشهرة الأدبية؛ إذ تبنى نشر شعره الشيخ "ناصيف اليازجي" في مجلة (الضياء) سنة ١٩٠٣م.ثم أخرج "الرافعي" بعد ذلك ديوان (النظرات) سنة ١٩٠٨م، ثم كتب في تاريخ آداب العرب وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وأضاف إلى العربية فنًا

جديدًا من فنون النثر لم يسبقه إليه أحد، وهو فن الرسالة الأدبية وذلك من خلال كتبه الثلاثة "رسائل الأحزان" و"السحاب الأحمر" و"أوراق الورد"، ومن الإنتاج المتميز للرافعي كتاباه: "تحت راية القرآن"، و"وحي القلم".

وفاته : توفي مصطفى صادق الرافعي مايو لعام 1937عن عمر يناهز ٥٧ عاما وحُمل جثمانه ودفن بعد صلاة الظهر إلى جوار أبويه في مقبرة العائلة في طنطافي جمهورية مصر العربية [٢٧].

ثانيا: الإعجاز البلاغي عند مصطفى صادق الرافعى

تناولمصطفى صادق الرافعى الأديب العالم والناقد المتذوق الرافعي وأحد من أفذاذ العلماء في العصر الحديث قضية الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم في كتابه المشهور "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ". الذي أسهم بقسط وافر من الدراسات الأدبية والنقدية حول قضية الإعجاز في القرآن الكريم. وعرض الرافعي في كتابه أقوال سابقيه في الإعجاز ويقيمها، وينقد المعارضين لإعجازه، ثم يركز على إعجاز القرآن بموسيقية آياته، والحس الروحي الذي يبعثه في نفس قارئه. ومن وجوه البلاغة للقرآن الكريم.

* **جمال النظم**:حين تحدّث الرافعى عن الإعجاز الأسلوبى ذكر أنّ العرب حين ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا أن ألفاظه هى الألفاظ التى يتداولونها، ولكنّ طريقة نظم هذه الألفاظ ووجوه تركيبها ونسق حروفها فى كلماتها، ونسق الكلمات فى الجمل كلّها جديدة فى بابها، فأحسّوا بعجزهم عن احتوائها، ورأوا أن أسلوب القرآن جنس من الكلام غير ما هم فيه، ولا سبيل إلى محاكاته، إذ هو وجه الكمال اللغوى الذى تشرئب إليه أرواحهم [٢٨].

* **التكرار فى البيان القرآنى**: فقد خاض فى تعليله كثير من البلغاء ولكنّ الرافعى أتى بالجديد حين ذكر أن التكرار مألوف عند العرب؛ ولكنّه فى النسق القرآني غير مألوف، إذ أنّ المعنى يتردّد بصور، كلّ صورة منها غير الأخرى وهم عاجزون عن محاكاة الصورة

الواحدة فما بالهم بالصّور المتعددة، فكأنّ الرافعى يريد أن يقول لهؤلاء إن القرآن يأتى بالمعنى ويتحداهم أن يأتوا بمثله، فيدركهم العجز، فيأتى بالمعنى نفسه فى صورة أخرى جديدة، فيدهش السامعون لهذا التكرار الطريف، مع أنّه تكرار[٢٩].

* **تحليل الأسلوب القرآنى:** وخلص الرافعى إلى تحليل الأسلوب القرآنى، فحصر جهات النظم فى ثلاث. هى الحروف والكلمات والجمل، وخصّ كل جهة بفصل شاف مشفوع بالأدلة الكاشفة، والجديد بها أكثر من أن يحصر. وقد باهى الرافعى بما اهتدى إليه، ولم يلتفت ناقدوه إلى ما اختاره من أمثلة لم تكن من مختارات سابقيه، ممّا يجعلنى أؤكد أن كتاب الرافعى هو الثانى فى بابه بعد كتاب «دلائل الإعجاز» لأن الكتابين اجتمعا فى خاصية واحدة، لم يشركهما فيها مشارك، وهي روعة البيان الأسلوبى وتدفق التحليل.

* **بلاغة النظم: يرى** الرافعي أن إعجاز القرآن في بلاغة النظم. وقسم الرافعي النظم إلى الحروف والكلمات والجمل.يقول الرافعي: "إن القيمة الفنية للحروف كامنة في كونها دالة على أصوات والصوت وسيلة من وسائل التعبير، وهو يحمل رعشات الطرب، واضطرابات الفزع، وهمسات لا يفسرها غير سماعها، فأصوات الحروف إنما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها كيف اتفقت، فلا بد لها مع ذلك من نوع في التركيب وجهة من التأليف حتى يمازج بعضها بعضا، ويتألف منها شيء فتتداخل خواصها وتتجمع صفاتها ويتكون منها اللحن الموسيقى"[٣٠].

* **الجمال التنسيقي: ثم** يتحدث الرافعي عن الجمال التنسيقي في صف الحروف في الكلمات والذي يتجلى في جوانب ثلاثة:

الأول: دلالة الكلمة الموضعية الذي سماه صوت النفس أي المناسبة بين الكلمة ومدلولها.

الثاني: الدلالة العقلية للكلمات في الجملة والذي سماه –صوت العقل– وهي دلالة الكلمة البيانية.

الثالث: تفاوت الجمل في دقة التصوير والإبداع، والذي سماه –صوت الحسّ– وهو أبلغ الثلاث

*الكمال اللغوي: وذلك بالنزول عن التحدى بمثل القرآن كله.. إلى عشر سور مثله مفتريات – كما زعموا – إلى سورة واحدة من مثله. ولو هم أرادوا هذه السورة الواحدة ما استطاعوها. لأن إحساسهم منصرف إلى أصل الكمال اللغوي في القرآن، مستغرق فيه. فلا يرون المعارضة تكون إلا على هذا الأصل وهو شيء لا تناله القُدرة

*التكرار: الذي يجيء في بعض آيات القرآن فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة. وهو مذهب للعرب معروف ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم للتوكيد والتهويل. بَيْدَ أن وروده فى القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفِطرة عن معارضته، وأنهم يخلون عنه لقوة غريبة فيه لم يكونوا يعرفونها إلا توهماً، ولضعف غريب في أنفسهم لم يعرفوه إلا بهذه القوة، لأنهم عجزوا عن السورة الواحدة. فكان عجزهم عن السورتين، وما عداهما أبين وأظهر.

* سلامة أسلوب القرآن من القلق والاضطراب، فليس فيه من الغرابة التي يكسوها البلغاء كلامهم في تجويد وصفه وحبكه. إنما فيه غرابة الانسجام، والسهولة التي يسيل بها القرآن، وهي سهولة الأوضاع الإلهية، التي يعرفها كل الناس ويعجز عنها كل الناس.

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الخطابي والرافعي

بعد هذا المطاف في دراسة موازنة بين الكاتبين– الخطابي والرافعي– يتضح لنا أن هناك تشابهات واختلافات بينهما، فهما قد اتفقا في أشياء، بينما اختلفا في أشياء أخرى، فأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما قد رتبتها باعتبار نواحي متعددة.

أوجه الاتفاق

أ– أبو سليمان محمد بن إبراهيم الخطابي (المتوفى سنة ٣٨٨ هـ)، ومصطفى صادق الرافعي (المتوفى سنة ١٢٩٨هـ) يعدان من الذين أسهموا بقسط وافر من الدراسات الأدبية

والنقدية التي قامت حول البيان القرآني المعجز. فهما قد أمضيا حياة حافلة في خدمة العربية وآدابها، والكتاب المبين الذي أنزل بلسانها، وهو الذي آلى على نفسه أن يكون لهذا الدين وكتابه القويم حارسه وحاميه.

ب– اتفق الكاتبان في أسلوب كتابتهما التي تميزت بالسهولة، والبعد عن التعقيد، واحتوائها على أصول مباحث الإعجاز التي لم تخرج عنها الكتب اللاحقة لها .

ج – اتفق المؤلفان في سبب تأليف كتابهما وهو الرد على المعارضين على الإعجاز القرآني، حيث ذكر الخطابي في مقدمتها أن سبب تأليفه إياها الرد على القائلين بالصرفة. كما **اتبع** الرافعي في تأليفه لهذه الرسالة أسلوب إيراد الاعتراضات والشبهات ثم ردها.

د– اتفق الكاتبان –الخطابي **والرافعي**– في شرح حقيقة الإعجاز في البيان القرآني من وجهة نظرهما، وبالشكل الذي حدد به طريقتهما، بما يخالف طرائق السابقين واللاحقين الذين رأوا في دقة النظم بشكل عام– المظهر الرائع في الإعجاز.

ه– تناول الكاتبان موضوع النظم، فالخطابي يرى نظرية الإعجاز بالنظم تفرد بها القرآن وهي التي أعجزت الكثيرين عن معارضتهكما انه الوجه الشامل للقرآن الباقي في كل زمان ومكان. والنظم هومناط الإعجاز الذي اعتد به الرافعي، لأنه آية الجمال والجلال في هذا القرآن الكريم. وكذلك تناول موضوع النظم بالشرح والتحليل وجعله الفكرة الأساسية التي دار حولها في كتابه.

و– اتفق المؤلفان في الأسلوب أيضا، فأسلوبهما كأسلوب المتقدمين من العلماء – رحمهم الله جميعا – في التأليف وليس كالأسلوب المتعارف عليه حديثا، أو بعبارة أخرى كأسلوب المتأخرين من العلماء، الذي ينطوي على أبواب ويتضمنها فصول، أو فصول ويتضمنها مباحث، أو مباحث ويتضمنها مطالب أو مسائل؛ بل كان التقسيم.

أوجه الاختلاف

أ–إن الإمام أبا سليمان حَمَد بن محمد الخطابي البُستيمن المتقدمين عُدَّ من أعلام الفكر الإسلامي من القرن الرابع الهجري، أما الرافعي من أفذاذ العلماء العرب والمسلمين في عصرنا الحديث الذين أسهموا بقسط وافر من الدراسات الأدبية والنقدية التي قامت حول قضية الإعجاز في القرآن الكريم.

ب–اختلف المؤلفان في تحديد مجال الإعجاز البياني للقرآن الكريم، جيث يرى الخطابي أن الإعجاز القرآني في اللفظ والنظم بينما يرى الرافعي أن القرآن معجزة بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه

ج– اختلف الكاتبان في منهجهما في تقديم وجوه بلاغة القرآن، فالخطابي سلم منهج المتقدمين في كتابه أما منهج الرافعي في "إعجاز القرآن" فلم يشأ منذ أن بدأ كتابه أن يطلق القول في هذا الإعجاز دون تحديد لمنهجه فيه.

د– ذكر الخطابي سبب الخلاف في حقيقة الإعجاز بين الباحثين في الوجه أو الوجوه التي كان بها القرآن معجزاً فقال:" قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديما وحديثا. وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم بعْدُ صدروا عن رأي؛ وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته"[٣١]. والرافعي يذكر سبب الخلاف في حقيقة الإعجاز.

ه–يعد الرافعي أول من أثار فكرة الإعجاز بالنظم من طريق الإيقاع الصوتي للآيات المحكمات، وهو ذلك الإعجاز النابع من دقة الالتئام والتناسق بين كل من الحروف في كلماتها، والكلمات في جملها، والجمل في تراكيبها على نحو لا شبيه له ولا نظير. بخلاف الخطابي الذي لم يتطرق هذه الفكرة.

و– يقرر الخطابي أن ما ورد من معارضات للقرآن لا يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لما فيها من سخف الألفاظ وسقوط المعاني والاهتمام بالسجع وهذا مناف لما جاء عليه القرآن من

الفصاحة والبلاغة فلا يمكن أن يقول أن هناك من عارض القرآن، والرافعي لم يتناول هذا الموضوع ولو بالتلويح.

ز- قد ذكر الخطابي وجها آخرا في الإعجاز للقرآن باقيا في كل زمان ومكان ألا وهو صنيع القرآن بالقلوب وتأثيره في النفوس وهو ما ذهب إليه الإمام في آخررسالته. والرافعي لم يتناول شيئا من هذا الوجه من الإعجاز.

ح- إن كتاب الخطابي "إعجاز القرآن" تناول وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم فقط، ومن ناحية أخرى تناول الرافعي وجوه الإعجاز البلاغي من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ك –تباين الإمامان في إيراد الأمثلة التطبيقية للإعجاز البلاغي، حيث أورد الخطابي النماذج التطبيقية من الآيات القرآنية، أما الرافعي فلم يحفل كتابه بالأمثلة التطبيقية على غرار ما عهد في الدراسات القرآنية عند السابقين، ويبدو أن الرافعي كان قد خصص هذا الكتاب للدراسات النظرية الدالة على الإعجاز.

م- اختلف المؤلفان في تناول قضية الصرفة، حيث عرض الخطابي هذه القضية في الرد على من يقولون بفكرة الصرفة، وأن اعجاز القرآن انما يرجع إلى أن الله صرف العرب عن معارضته، كما أنه رد على من يقولون بأن اعجاز القرآن يرجع إلى ما تضمنه من الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، أما الرافعي فلم يتناول هذه القضية إطلاقا.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد تناول دراسة موازنة بين الإمام أبي سليمان حَمَد بن محمد الخطابي والكاتب الأديب مصطفى صادق الرافعي حول الإعجاز البلاغي للقرأن الكريم يمكن الإشارة بإيجاز إلى النتائج التالية:

١- إن القرآن الكريم نزلبلسان عربي مبين يتحدى أمة العرب التي كانت فيها الفصاحة والبيان سجية وفطرة، فأعجزهم جميعا؛ لأنه جاء بطريقة منفردة في نظم الكلام وتركيبه وبضروب النظم ووجوه تعليق الكلم وما يترتب عليه من المعاني الدقيقة والمقاصد الشريفة.

٢- ومن أبرز وجوه الإعجاز للقرآن الكريم الإعجاز البلاغي الذي هو الدقة في اختيار كلمات القرآن وترتيبها بصورة بديعة حتى ظهرت الفصاحة والبلاغة والبيان بصورة يفهمها القارئ ويسهب في تدبرها.

٣-وقد تناول مصطفى صادق الرافعى الأديب العالم والناقد المتذوق الرافعي واحد من أفذاذ العلماء العرب والمسلمين في عصرنا الحديث قضية الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم في كتابه المشهور " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ".

٤- قد اتفق الكاتبان في بيان وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وفي أسلوب كتابتها وسبب تأليف كتابهما، وفي شرح حقيقة الإعجاز في البيان القرآني، وفي تناول قضية النظم في مجال الإعجاز.

٥- كما اختلافا في عصر هما حيث يعد الخطابي من المتقدمين والرافعي من المتأخرين، وفي منهجهما في تقديم وجوه بلاغة القرآن، في إثارة فكرة الإعجاز بالنظم من طريق الإيقاع الصوتي، في إيراد الأمثلة التطبيقية للإعجاز البلاغي، في تناول قضية الصرفة.

المصادر والمراجع

١. سورة سبأ: الآية ٥.

٢. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٣٣٢.

٣. لسان العرب: ابن منظور، القاهرة، دار الحديث، دط ،٢٠٠٣م، مادة عجز

٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة السادسة ١٩٥٦ م، ص ،١٥٦

٥. فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوىة حتى عصرنا الحاضر: نعىم الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٩.

٦. إعجاز القرآن الكرىم و البلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ، ص ١٣٢.

٧. سورة الطور: الآية ٣٤.

٨. سورة الإسراء: الآية ٨٨.

٩. سورة البقرة: الآية ٢٣.

١٠. تذكرة الحافظ: الإمام أبو عبد االله شمس الدين محمد الذهبي، مطبعة إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ج ٣، ص ١٠١٩

١١. النجوم الزاهرة في أخبار مصر القاهرة: ابن تغري بردي، مطبعة دار الكتب ـ مصر، ط.١، ج٤، ص ١٩٩

١٢. سير أعلام النبلاء: الإمام أبي عبد االله شمس الدين محمد الذهبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م، ج ٣ ص ٤٥.

١٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م، الطبعة الأولى ، ص ٥٤٧ .

١٤. معجم البلدان: ياقوت بن عبد االله الحموي: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ج 3 ، ص ٥٣.

١٥. تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ،1434هـ 2013 م ، ج ٩، ص ٢١٣.

١٦. بيان إعجاز القرآن: الإمام حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، دار المعارف – بمصر، د.س.ط، ص ٣١،٣٠،

١٧. النجوم الزاهرة في أخبار مصر القاهرة: ابن تغري بردي، مطبعة دار الكتب ـ مصر ـ ١. ، ج٤ ، ص ١٩٩

١٨. ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابيص ٣٤.

١٩. ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابيص ٣٤.

٢٠. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٢٦ ، ٢٧ .

٢١. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٢٦، ٢٧ .

٢٢. المرجع السابق، ص ٢٧ .

٢٣. المرجع السابق، ص ٢٩

٢٤. إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس، ص٤٧، ٤٨.

٢٥. مصطفى صادق الرافعي، سيرته وحياته، د. مصطفى نعمان السامرائي، دار المعرفة، بغداد ١٩٧٧.

٢٦. حياة الرافعي ، محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٥م ص٢٥،٢٧.

٢٧. المرجع السابق، حياة الرافعي ص٣٤١.

٢٨. المصدر السابق، الرافعي، ص ٢١٤ .

٢٩. إعجاز القرآن، الرافعى، ص ١١٣.

٣٠. المرجع نفسه، الرافعى، ص ٢١٥.

٣١. رسالة بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام، (القاهرة: دار المعارف، 1991م)،(ذخائر العرب:١٦) ، ص ٥٤.